تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والعبد يكره ما يكره
عبده ويكره مساءته ثم هذه الجملة يستثنى ان لا يعته ولكن مصلحته في اماتته
فانه ما اماته الا لمحبته ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا
منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على
احسن احواله فهذا هو السبب على الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي التردد
في حق الله غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما
ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام غمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به
فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله
كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويمضي عنه ولا بد له من
لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستاثر
بالبقاء لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله
كتردد يدي اياهم في نفس المومن كاردد في قصة موسى عليه السلام وملك
من نظنه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة
المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال
الا بادي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار
متعلقها اي عن التردد بالتردد وجعل متعلق التردد اختلف احوال
العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت
فيقبض على ذلك قال وقد تحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما
عنده والشوق اليه والمحبة للقايه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن
ازالة الكراهة عنه انتهى فلاحياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله
ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم الى
ولطانت قلوبهم واستانسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا
يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم
وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج وان يصل العبد الى هذه
المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه
بطريق يوصله اليه وتحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم
بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في
التعلقات الفانية ويداوم في تصحيح النوبة والقيام بالمواظبات
الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم

على

على قلبه فلا يساعده خطوة يكرهها الله تعالى ولا خطرة فضول لا تنفعه
فيصفو ذلك قلبه بذكره ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت
طبعه ونفسه الى فضاء المخلوة بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينيذ يجتمع قلبه وخواطره وهمومه نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق
اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته
على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله
الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومباديء اموره وكيفية
نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه واذاه وجهاده
وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه
الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه
من بعض اصحابه واذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه
من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ما اذا انزلت فيه وماذا
اريد بها وحطه المختص بها منها من الصفات والاخلاق والافعال
المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الكفاء من المرض المخوف
ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات اعظمها الاقتداء به
واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف
مع حده لان شريعته قال الله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة
العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى
اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في
كتاب القصد والرجوع

تعصي الاله واانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعم الله
الظاهرة والباطنة فبمقدر مطالعته ذلك تكون قوة المحبة ومن
اعظم مطالعة منة الله تعالى على عبده منة تاهله لمحبته ومعرفته
ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى
في قلب العبد فاذا ادرك لك النور اشرقت له ذاته فراى في

Copyright © University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)